

المند

لمحة جغرافية :

الهند شبه جزيرة تمتد في جنوبي قارة آسيا ، وتتفصل الهند عن بقية بلاد آسيا بحاجز من الجبال الشاهقة منها، جبال (الهمالايا) التي تفصلها عن الصين ، وجبال (سليمان) التي تفصلها عن افغانستان ، وفيها سهول واسعة تمتد من الغرب الى الشرق بين خليج البنغال وبحر العرب، ويحدها من الشمال جبال (الهماليا) ، ومن الجنوب المحيط الهندي ، كما تشكل جمهورية الهند وباكستان وبنغلادش وسيريلانكا الأجزاء الرئيسية في شبه القارة الهندية .

تقع المدن الرئيسية على ساحل شبه جزيرة (الدكن) مثل (بومباي) و (مدراس) و (كلكتوتا) ، ويضم السهل الواسع الذي ينحصر بين (نيو دلهي) و(كلكتوتا) مئات عدة من ملايين الهنود

وهي ذات ثروات كبيرة سواء أكانت زراعية مثل الارز والقمح وقصب السكر والذرة والشعير وغيرها من المزروعات ، كما تكثر فيها الحيوانات وبخاصة الابقار، وكما تزخر بالثروات المعدنية مثل الحديد والالمنيوم والنحاس والفحم .

وتعد الهند مقر الديانة البراهمية التي تنسب الى (براهما) كما تسمى (الهندوكية) نسبة الى الهند، وهناك أيضاً المعتقدات الهندوسية والجنينية والبوذية ، فضلاً عن السيخ، أمّا بالنسبة للنظام الاجتماعي فإنه ينقسم الى طبقات متباينة على شكل هرم ، فتصنف الكهنة في اعلاه ، يليهم المحاربون فالزراع فالخدم .

الحكم المغولي للهند .

تعرضت الهند الى الغزو المغولي الذي اجتاح الشرق منذ القرن الحادي عشر، وتمكن المغول من حكم الهند منذ عام ١٥٢٦ ، من لدن (بايور) ، الذي مهدت غزواته قيام دولة مغولية قوية تولى حكمها عدد من الأمراء من نسبه ، وتوصل من بعده الاباطرة (أكبر) و (جهانكير) و (شاه جهان) و (اورانك سيب) الى توحيد شبه القارة الهندية من (كابل) الى الهند الجنوبية .

دان المغول الذين سيطروا على أجزاء الهند معظمها بالديانة الاسلامية، في حين كانت أكثرية الهنود من الهندوس، وأعتمد المغول على الهندوس في تسيير شؤون الدولة، إذ كانت هناك بعض الولايات يديرها الهندوس كإقطاعيين للإمبراطور المغولي مع استقلال محدود ، وكانوا يجهزون القطعات للجيوش الامبراطورية ويعملون كجباة ريع للسلطة المركزية .

واستغل المغول في الهند قوة جيشهم وحسن تنظيم إداراتهم لبيسطوا سلطتهم على الهند ، وأستندوا في الوقت نفسه الى القوة ، فضلاً عن أتباع سياسة التسامح الديني تجاه الأقليات الدينية .

إلا إن سيطرة المغول لم تكن كاملة على الهند، إذ بقيت أجزاء من الهند لاسيما في الجنوب خارج حكم المغول لمدة طويلة ، أمّا المناطق التي خضعت للحكم الاسلامي المباشر، فقد تبلورت فيها المعارضة للحكم حتى تحولت أحيانا الى ثورة ، ولمل كانت الارض تعد المصدر الرئيس لمالية الدولة ، وطبقاً للعرف الهندوسي فإن حصة الملك السدس من ريع الارض ، لكن المغول اخترقوا هذا العرف منذ عهد الامبراطور (أكبر) الذي حكم بين (١٥٥٦ - ١٦٠٥) ، إذ أصبحت حصة الملك هي الثلث ثم رفع خلفائه ، الحصة الى النصف ، فعاش الهنود عيشة صعبة ، الأمر الذي أدى الى حصول المجاعات وأنتشارها في أغلب مناطق الهند .

ومارس الحكام المحليون استغلالاً محلياً ، إلا إنَّ السياسة العامة للدولة كانت تتسم بالتسامح مع السكان والمساواة بين المسلمين والهندوس ، وقام الامبراطور (أكبر) بتولية الهندوس مراكز رسمية عالية مدنية وعسكرية، وألغى ضريبة الرأس، وجعل سرقة البقر جريمة تختلف عن السرقات الأخرى وخاصة أمام الهندوس إذ إنَّ عقوبتها الاعدام .

واصل خلفاء الامبراطور (أكبر) سياسة التسامح الديني ، لكن السلطان (شاه جهان) منع بناء معابد هندوسية جديدة عام ١٦٣٢، وأمر بتدمير اي معبد تحت الانشاء، أمَّا خليفته (اورانك سيب) الذي دام حكمه بين (١٦٥٩ - ١٧٠٧) ، والذي كان أقدر أباطرة المغول إذ قرر تجديد الشخصية الإسلامية، كما مُنعت بعض الطقوس الهندوسية غير المقنعة مثل وزن الامبراطور بالذهب والسجود للامبراطور ، تمتع هذا الحاكم بالحزم والحكمة وأستطاع إرضاء فئات الشعب المختلفة، وكان ذا مقدرة حربية، وكان عهده عهد ازدهار ورفاهية ورخاء، فزادت مساحات الأرض المزروعة، وكثرت الغلات ونعم الناس بالخيرات وزادت واردات الدولة، وقام (اورنك سيب) بأصلاحات واسعة النطاق ، وبعد وفاته أخذ حكم المغول يتدهور، بسبب ضعف الحكام الذين خلفوه، وطبيعة الحكم الذي كان مركزياً ويفتقر الى التنظيم، فضلاً عن كونه فردياً في الوقت الذي كانت الدولة واسعة بشكل يصعب على الحكم الفردي إدارتها بهذا الأسلوب ، ونتيجة لضعف السلطة المركزية أخذت بعض أجزاء الدولة تعلن الإستقلال، حيث أعلن بعض حكام الاقاليم أنهم أمراء مستقلون، وحتى بعض ملاكي الاراضي شكلوا ممالك خاصة بهم .

جاءت الضربة للمغول عام ١٧٣٩ على يد الحاكم الفارسي (نادر شاه) الذي دخل الهند ولم يجد إلا مقاومة قليلة ، ولم يجد الامبراطور المغولي أية مساعدة من الحكام التابعين له، وعندما دخلت الجيوش الفارسية عمت البلاد حالة من الفوضى ، فأنهارت السلطة المركزية ، مما فسح المجال للطوائف والقوميات المختلفة في الهند ، أن تمارس كل منها دوراً في الحصول على سلطة محلية ، الأمر الذي زاد من حالة الفوضى .

وصول الأوربيين للهند :

وضع البرتغاليون أول ركيزة للاستعمار الاوربي في الشرق ، وذلك من خلال إرسال اسطول برتغالي تألف من ثلاث سفن بقيادة (فاسكودي غاما) الذي اكتشف رأس الرجاء الصالح، الذي وصل الى الهند عام ١٤٩٧ الى ميناء كلكتا ، تمهيداً لغزو الهند وتحقيق أهداف دينية واقتصادية ، تمثلت بنشر الديانة المسيحية والإتجار بالتوابل التي أشتهرت بها الهند .

وعلى الرغم من معارضة نائب الملك البرتغالي في الهند (فرانسيسكو دالميدا) لكل سياسة ترمي الى التوسع، لكنه كان يقدر أهمية حصول البرتغال على السيادة في البحار الهندية وتكوين امبراطورية تجارية في بلاد الشرق .

تمكن البرتغاليون في السنوات اللاحقة من انشاء أول مستعمرة لهم في (كوتشين) جنوب كلكتا ، وعندما شعر سلاطين الممالك في مصر بالخطر أعدوا اسطولا لمقاتلة البرتغاليين ، لكن البرتغاليين انتصروا عليهم في موقعة (ديو) عام ١٥٠٩ ، فشرعوا بعدها بإنشاء المراكز الحصينة في الهند ، وأسسوا لأنفسهم في أعالي البحار سيادة لا ينازعهم فيها منازع ، جعلت تجارة البحر الهندية تحت رحمتهم مدة تزيد على القرن ونصفه، وكان الشخص الذي نظم هذه الامبراطورية البحرية وحملها بالفعل الى المحيط الهادئ هو (الفونسو البوكرك) ، الذي يعد من المع الأسماء في تأريخ العلاقات بين اوربا واسيا ، كما عُد كونه باني السيطرة الغربية في أسيا .

ولم يكتفِ البرتغاليون بالنشاط التجاري، بل مارسوا أيضاً نشاطاً هدف إلى نشر المسيحية في آسيا، كما حافظوا على سرية الطريق إلى الهند حتى لا تقع في أيدي منافسيهم من الأوربيين ، لاسيما هولندا التي توجهت إلى المحيط الهندي، وسيطرت على اندونيسيا وقضت على النفوذ البرتغالي في الهند، فبعد تأسيس شركة الهند الشرقية- الهولندية عام ١٦٠٢ عقد الهولنديون معاهدة مع أمير المسلمين (**قاليقوط**) المسلمين أعداء البرتغاليين عام ١٦٠٤ التي أكدت على اجلاء البرتغاليين عن أرجاء الهند كافة، فأنهات الامبراطورية التجارية البرتغالية أنهيأراً سريعاً، ثم سقطت المحطات التجارية الصغيرة في يد الهولنديين الواحدة تلو الأخرى ، وبذلك انهار الوجود البرتغالي في الهند.

ومنذ عام ١٥٥٣ أسس الانكليز شركة سميت بـ (اتحاد التجار المغامرين للتجارة مع الشرق) ، وفي عام ١٦٠٠ أصدرت الملكة (اليزابيث) مرسوماً ملكياً بمنح هذه الشركة حرية التجارة في الهند والمناطق المجاورة لها لمدة خمسة عشر عاماً ، فأسست شركة الهند الشرقية- الانكليزية، وشرعت بإنشاء المراكز التجارية، ومنها المركز التجاري في (مزولي) عام ١٦١١، وفي (سورات) عام ١٦١٢، واشتتت الانكليز مرات عدة مع البرتغاليين ، ثم تمكنوا من طردهم من الهند .

ولم يكن الفرنسيون بعيدين عن هذا التنافس، ففي عام ١٦٠٤ أسسوا شركة الهند الشرقية- الفرنسية، وأسسوا أول مركز تجاري لهم في الهند في سراب عام ١٦٦٨، والثاني بالقرب كلكتا عام ١٦٧٢، والثالث بالقرب من مدراس .

وبذلك عملت الشركات التجارية الثلاث على شراء الاراضي وبناء الحصون، إذ كانت المنافسة بينها شديدة، إلا إنَّ الانكليز كانوا الأقوى في هذا التنافس، وأصبحت كل من بومباي ومدراس وكلكتا، المراكز التجارية الثلاثة التي استطاع الانكليز النفاذ من خلالها إلى داخل الهند.

التنافس البريطاني - الفرنسي حول الهند :

أدى التنافس البريطاني- الفرنسي حول الهند إلى قيام حروب كثيرة بين الطرفين، إذ كان كل طرف يدرّب فتيان الهند ويسلّحهم بأحدث الأسلحة، وأستغل كل منهما الانقسامات التي سادت بين الولايات الهندية، والخلافات الموجودة بين الأمراء لتحييض أحدهم ضد الآخر .

وبعد أن تدهورت سلطة الامبراطورية المغولية في القرن الثامن عشر، وأصبح حكام الولايات مستقلين ، لاسيما حكام (الديكن) ، شرع الحاكم الفرنسي العام (فرانسوا دوبلكس) ومدير شركة الهند الشرقية- الفرنسية ، بالتحالف مع أغلب هؤلاء الحكام ، إلا إنَّ الحاكم البريطاني العام (روبرت كلايف) أستطاع أسماآلتهم ، فتمكن من طرد الفرنسيين من أغلب المناطق الهندية ، فسيطر البريطانيون على البنغال عام ١٧٥٧، وأستمرت هذه المنافسة التي أتت بالتصادم الحربي احياناً بين الطرفين، حتى أنتهت بخروج الفرنسيين بعد الاتفاق مع البريطانيين من معظم المناطق التي كانوا يحتلونها في الهند، بموجب اتفاقية عام ١٧٦٣ التي نصت على تنازل فرنسا عن الهند إلى بريطانيا، كما تم تحديد ببعض المناطق الصغيرة على أن تكون منزوعة السلاح ، وهذا يعني إنَّ هذه الاتفاقية أشرت إلى حد كبير نهاية مرحلة التنافس والصراع على شبه القارة الهندية ، وبروز بريطانيا كونها دولة استعمارية أنفردت بإدارة شؤون الهند .

وتعود الأسباب التي أدت الى نجاح البريطانيين على الفرنسيين الى :

- ١- أهتنام بريطانيا ببناء أسطولها وقوتها البحرية بحكم موقعهم الجغرافي وسط البحر، وأنعزالهم عن القارة الاوربية .
- ٢- انتصارهم البحري على اسبانيا في موقعة (الارامادا البحرية) عام ١٥٨٨، منحهم القوة بحيث أصبحت الدول الاوربية تخشى مجابهتها في عرض البحر .
- ٣- إن تأسيس المراكز التجارية الغربية بالمناطق الساحلية الرئيسية في الهند، أسهم في ظهور طبقة قوية من الرأسماليين الهنود ، أرتبطوا بالشركة البريطانية التي كانت تزودهم بالاموال اللازمة لاسيما بعد حدوث الاضطرابات التي شهدتها الهند بعد أضمحلال سلطة المغول .
- ٤- إنشغال فرنسا في الامور السياسية والحروب الاوربية ، لاسيما حرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣) ، والثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .
- ٥- كان للفرنسيين مشاكلهم الخاصة بسبب الرسوم والضرائب الكثيرة المفروضة بين المقاطعات الفرنسية التي أدت الى إعاقة التجارة الفرنسية.
- ٦- فشل نابليون في احتلال مصر والسيطرة على قناة السويس التي تعد الطريق الموصل الى الهند، بعد أن قرر إنتزاع الهند من بريطانيا وقطع اتصالاتها سيوجه ضربة لها ، فحمله هذا الاعتقاد على مهاجمة مصر والاستيلاء عليها .

الحكم البريطاني للهند :

يمكن تمييز حقبتين من الحكم البريطاني للهند :

- ١- حكم شركة الهند الشرقية - البريطانية ١٧٤٠ - ١٨٥٨ .
- ٢- حكم التاج ١٨٥٨ - ١٩٤٧ .

١- حكم شركة الهند الشرقية - البريطانية ١٧٤٠ - ١٨٥٨ .

تميز نظام الحكم خلال هذه الفترة بهيمنة مدراء الشركة على الأوضاع في البلاد وبجانبهم الأمراء المحليين، وكان المدراء يعينون حاكماً بريطانياً عاماً على الهند، والى جانبهم موظفين وجيش بريطاني أغلبيته الساحقة من الهنود ، كما تميزت هذه المدة بممارسة الأمراء وحكام الاقاليم الهنود بعض الصلاحيات .

وخلال هذه الفترة مارس الحكم البريطاني في الهند عملية الاستغلال الاقتصادي، إذ كان العمل الرئيس لشركة الهند الشرقية البريطانية أن تنقل المصنوعات الهندية والمنسوجات والتوابل من الشرق الى أوروبا ، كما زاد البريطانيون من ثروة الاقطاعيين ، ومنحهم قسطاً يسيراً من ثروة الشعب ، كما ساعد الحكم البريطاني على إثارة المرجعية الدينية ، وجعل من الاسلام والهندوكية في الهند أكثر تطرفاً وشدة ، وتحالفوا مع العناصر الرجعية والمحافظة جميعها ، وحاولوا جعل البلاد مجرد بلد زراعي منتج للمواد الخام اللازمة لصناعاتهم ، وحاولوا منع دخول الآلات اليها ، وفرضوا الرسوم الباهضة، وأدى النهب الشخصي وتغلغل شركة الهند الشرقية - البريطانية مع الإدارة الى شحة في النقود ، مما سبب ركوداً في الزراعة، كما أدى الى تدهور التجارة والصناعة، ونظراً للاستغلال البريطاني للاراضي الزراعية ، وفرض الضريبة على المنتوجات الزراعية، تعرض الفلاح الى الفقر والمجاعات ، مما حملهم على

الهجرة الى المدن التي عانى فيها العمال ايضاً من سوء الاحوال ، إذ كانت الاجور لا تكفي لتغطية نفقات المعيشة .

ثم شرع البريطانيون بالعمل لتنفيذ مخططهم للإستيلاء على البلاد ، واختاروا البنغال لتكون بداية لتنفيذ مخططهم وممراً الى داخل الهند ، فأخذت الشركة تضغط على والي البنغال (سراج الدولة) وأخذوا يتدخلون بشؤونها الداخلية، وحينها قرر والي البنغال استخدام القوة لإيقاف تدخلهم ، فقام بالهجوم على حصونهم عام ١٧٥٧ ، إلا إنَّ الخلافات بين والي البنغال وقادته أدت الى إحراز البريطانيين النجاح والاشراف على الإدارة المالية للبنغال، وبذلك ضمن البريطانيون سيطرة فعلية على أغنى أقاليم الهند .

ثم كرر البريطانيون خطتهم نفسها وهاجموا أكبر قوة انذاك وهي إمارة (المهراتا)، وفي موقعة (اساي) عام ١٨٠٣، تمكنوا من الإستيلاء عليها، ولم يبقَ أمامهم من قوة كبيرة سوى إمارة (ميسور) التي هاجموها ايضاً وتمكنوا من السيطرة عليها، ولم يلبث أن توسع البريطانيون بسرعة في الهند وسيطروا عليها سيطرة مباشرة بعد أن تمكنوا من القضاء على مقاومة الإمارات الهندية .

- ثورة ١٨٥٧:

كان هناك سخط عام في الهند على الوجود البريطاني الاستعماري ، وكانت البلاد مفككة ، ولم يكن هناك زعيم يستطيع ان يوحدتها بشعبيتها الاسلامي والهندوسي ، لذلك كانت فكرة الثورة مختمرة لدى أبناء الشعب الهندي، وتنتظر الطرف الملائم ، وجاءت الفرصة المناسبة عندما روجت الاشاعات بين أبناء الشعب الهندي ، بأن بريطانيا أدخلت نوعاً من العتاد المشحم بزيت البقر المقدس عند الهندوس وشحم الخنزير المحرم عند المسلمين ، الذي يتطلب استخدامه الاستعانة بالاسنان قبل إدخاله في بنادقهم ، ولما امتنع الجنود من المسلمين والهندوس من استعمال هذا النوع من الاسلحة لأنها تدنس عقيدتهم ، رفع الثوار في (دلهي) و (لكناو) شعار (الدين في خطر) ، وانتشرت الثورة التي شملت اغلب المدن الهندية .

وتعود أسباب قيام ثورة ١٨٥٧ الى عوامل سياسية واقتصادية ودينية واجتماعية ، وتمثلت بالآتي :

- أ- سياسية : تكمن في تطور الوجود البريطاني في الهند ، الذي تحول تدريجياً الى جهاز استعماري ، من خلال إحلال الرجل الانكليزي محل الحاكم المحلي للولايات الهندية تحت أسم (المفوض) ، الذي بدأ ينهب خيرات البلاد .
- ب- اقتصادية : أصبح سوق الهند سوقاً احتكارياً لبريطانيا، إذ أصبح المصدر الرئيس للمواد الاولية للصناعات البريطانية المتطورة وسوقاً للبضائع ، الأمر الذي أدى الى تفويض الصناعة الهندية المحلية ، مما أضعف الاقتصاد الهندي وأثر بشكل سلبي في مختلف فئات الشعب .
- ج- دينية : إصدار قرار عام ١٨١٣ الذي أجاز تأسيس المدارس المسيحية المناهضة للديانات الهندوسية والاسلامية على حد سواء ، ومما زاد الأمر سوء منح الحماية للهنود الذين يعتقدون المسيحية عام ١٨٥٦، الأمر الذي أثار أرتياب الهندوس والمسلمين .

د- اجتماعية : تم العمل على إضعاف الطبقات القديمة ، ودعم الطبقات الجديدة المتمثلة بالطبقة الرأسمالية ، التي ارتبطت مصالحها السياسية والاقتصادية بالمصالح البريطانية .

ه- ثقافية: فرض اللغة الانكليزية التي أصبحت لغة التعليم والمحاكم العليا، إذ مكنت معرفة اللغة الانكليزية الرواد الاوائل من المطالبة بالإصلاح السياسي والاجتماعي، ومن الرواد الاوائل الذين اتخذوا الثقافة مرتكزاً للتحرك الوطني هو (رامون هان روي)، الذي عُدَّ أحد رواد الإصلاح الحديث في الهند ومؤسس الصحافة الهندية، ففي عام (١٨٢١) أسس صحيفة بنغالية، فضلاً عن إصداره مجلة باللغتين البنغالية والانكليزية، ومن ثم أصدر صحيفة أسبوعية باللغة الفارسية التي عدت لغة الطبقات المثقفة في جميع أرجاء الهند، وقدم مذكرة الى الحكومة للمطالبة بتأسيس مطبعة، وطالب الحكومة بإجراء الاصلاحات السياسية والاقتصادية، الأمر الذي أسهم في تكوين فئة من المتعلمين المثقفين الهنود، وأصبحت طليعة للحركة الوطنية الهندية، وقد وجدوا في التقاليد والطقوس الدينية أسباباً للتحرك الوطني .

عانت الهند على أيدي البريطانيين خلال أحداث الثورة مجازر وحشية، وتمكن البريطانيون من قمعها بمنتهى القسوة، وتعرضت أغلب المدن التي هبت بها الثورة الى الدمار.

وتعود أسباب فشل الثورة الى :

- أ- أفتقارها الى التنظيم والتخطيط.
- ب- أقتصارها على مناطق محدودة.
- ج- أفتقارها الى قادة سياسيين محنكين.
- د- التفاوت في الامكانيات المادية بين الثوار والقوات البريطانية.
- ه- عدم تعاون معظم الأمراء مع الثورة.
- و- أنعدام التعاون والتنسيق بين المسلمين والهندوس.
- ز- بقى المثقفون بمعزل عن الثورة كونها مغامرة عسكرية.

وعلى الرغم من فشل الثورة عسكرياً، ولكن كان لها نتائج مهمة، فإن أحداث الثورة هزت بريطانيا هزاً عنيفاً، مما دفعها الى تبني سياسة جديدة تجاه الهند، فأخذت جملة من الإجراءات التي أسهمت في تعزيز هيمنتها على الهند، وفي أمتصاص غليان الشعب الهندي في الوقت نفسه، منها :

- أ- نقل حكومة الهند من شركة الهند الشرقية الى حكومة التاج.
- ب- تسريح الأفراد الذين ينتمون الى البنغال في الجيش وعين بدلهم الهنود من سكان شمال غرب الهند.
- ج- أعيد تنظيم الامور المالية.
- د- إنشاء معامل لصناعة القطن وإنتاج الشاي.
- ه- إنشاء الجامعات في كل من كلكتا ومدراس وبومباي.
- و- سن التشريعات لحماية صغار المزارعين من كبار ملاكي الارض.
- ز- إنشاء مجلس تشريعي هندي عام ١٨٦١، كخطوة اولى نحو إقامة نظام حكم ديمقراطي .

ح- إقامة المشاريع العمرانية مثل مشاريع الري والمواصلات والسكك الحديدية والطرق البرية وانشاء القنوات، لإمتصاص البطالة.